فإنه لما غاير الناس وأغرب فى تحسين إساءة الواشى رأى انه قد أتى بما يستبعد صدقه فاستدل على صحته بدعوى أن الإساءة حصلت تجاه إنسان عينه من الغرق بالدمع لامتناعه من البكاء حذراً من الواشى ، وخوفاً على محبوبته، وما حصل ذلك فهو حسن ،فأثبت صحة تحسين الإساءة بإثبات علتها . ونحوه قول ابن رشيق يعلل قوله ﷺ : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهورا »(١) :

سألت الأرض لم جعلت مصلى ولم كانت لنا طهراً وطيبا
فقالت غير ناطقة : لأنى حويت لكل إنسان حبيبا(٢)

وقد أحسن فى الاستخراج لكون الأرض مسجداً وطهورا [١٣١] علة مناسبة لا حرج عليه فى ذكرها على لسانه ، فكيف وقد ذكرها على لسان الأرض فى جواب سؤاله(٣) . على أنه من قول أبى تمام(٤) :

ربى شفعت ريح الصبا بنسيمها إلى المزن حتى جادها وهو هامع

---

(١) الحديث فى صحيح البخارى كتاب الصلاة باب قول النبى ﷺ : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » صحيح البخارى ، ط دار الشعب ص ١١٩ .

(٢) البيتان لابن رشيق . ديوانه ص ٦٥ ، تحرير التحبير ص ٣١٠ ، الطراز جـ ٣ ص ١٣٩ ، نهاية الأرب جـ ٧ ص ١١٦ ، عقود الجمان جـ ٢ ص ١٢٢ ، خزانة الأدب للحموى ص ٤١٧ .

(٣) فى د : سؤالها .

(٤) ديوان أبى تمام (ا) ص ٤٢٥ ، (ب) جـ ٤ ص ٥٨٠/٥٨١ ، سر الفصاحة ص١٢٥ ، الإيضاح ص٥٢٣ ، الإبانة ص١٥٩ . قال ابن سنان : لأنه استعار لأعلى الجبل الأمن عبارة عن الارتفاع وتعذر الوصول إليه وهذا لاثن محمود فى الصناعة ، ومعلول عند أهلها .